الفصل الخامس

الملة الارثوذكسية

١ ـ بين القديم والجديد :

كان معظم اليهود يقطنون أوروبا الشرقية والامبراطورية العثمانية . وكان محورهم فى هذه البلاد لا فى أوروبا الغربية أو أمريكا حيث كانوا قلة بالنسبة ليهود شرق أوروبا .

منذ أن جاء التحرير ، وبدأ اليهود يشعرون أن العلم والتنظيم اليهودى الذى نشأوا عليه فى الجيتو لم يعد مهما ، وأن العلوم العلمانية ووسائل انخراطهم فى صفوف المسيحيين أجدر لهم أن يولوها العناية والاهتمام . ولذلك ، ضعفت بينهم علوم التلمود وقل استعمالهم للغة العبرية حتى كانت المشكلة الثقافية الكبرى التى واجهها موسى مندلسون فى ألمانيا اذ اضطر لتعليم اليهود العبرية كى يتفهموا دينهم ، أما فى الشرق فلم يكن هنالك تحرير ولم تصب اليهود المساوىء التى انطوت عليها حركة التحرير فى الغرب . كان اليهود فى ألمانيا محرم عليهم استعمال اللغة الألمانية فى عقودهم ، ولما تحرروا ، هجموا على اللغة الألمانية لدرجة نسيان لغتهم . أما فى الشرق فقد بقى التراث العبرى حيا . فالأذكياء منهم الذين لم تتح لهم فرصة الدراسة والعمل فى النطاق المسيحى ، صبوا اهتمامهم فى دراسة تراثهم ، كما استمر العامة منهم فى الامتثال لنظام الحياة التقليدى حسبما يشير التلمود . وكذلك بقى المجتمع اليهودى فى شرق أوروبا مجتمعا متماسكا متراصا قويا طالما أن هيئاته كانت الوسيط الوحيد بين اليهودى والدولة وطالما أن المجتمع نفسه ظل منبعا لجميع حقوق اليهودى وواجباته الروحية والاقتصادية

والاجتماعية (١) . الا أن هنالك فرقا شاسعا بين الدراسة العلمانية فى الغرب والدراسة التلمودية فى الشرق . فالأولى ، كمثيلاتها من العلوم والتهذيبات العلمية العصرية كانت تهدف الى الخلق ، الى اكتشاف الحقائق الكامنة والى توسيع نطاق معرفة الانسان . أما فى الثانية ، فالهدف كله مجرد توسيع القانون ليشمل تنوع الحياة وتجديداتها وذلك باكتشاف ناحية أو معنى أو حكم أو ملزمات حكم يمكن تطبيقها على النحو الجديد حتى يبقى التلمود القديم مسيطرا على كل شىء . وشتان بين العقليتين (٢) .

* * *

٢ ـ اليهود الشرقيون مجتمع حى :

زد على ذلك أنه نشأ فى أوروبا الشرقية تراث مغاير تماما لتراث التنوير والعقلانية ، ذلك هو التراث المعروف بحركة الحسيديم ، نشأت هذه الحركة فى القرن الثامن عشر كرد فعل لانغماس اليهود فى عملية استنباط الأحكام من الأحكام العملية التى لا نهاية لها ، والتى جففت ينابيع الحياة الروحية لليهود وجعلتها معدومة الأخلاق والأصالة ، وليست حركة الحسيديم سوى حركة تصوف استهدفت اعادة التقوى والنية الصافية والأخلاق والتعبد الصحيح الى نصابها فى حياة اليهودى . فكانت مضادة لحركة الميتناجديم وهم رجالات القانون الذين لا يهمهم فى الدنيا سوى تمديد القانون وتوسيعه ليشمل الجديد كما شمل القديم ،

---

(١) راجع التفاصيل فى كتابى :

S.M. Dubnow, History of the Jews in Russia and Poland from the Earliest Times until the Present Day.

Philadelphia : Jewish Publication Society, 1918 ; S.W. Paron, The Russian Jew under Tsars and Soviets. New York : Macmillan, 1964.

(٢) Abraham Joshua Heschel, The Earth is the Lord's : The Inner World of the Jew in Eastern Europe. New York : Henry Schuman, 1950.

الا انها لم تكن ترمى الى التخلص منهم ، بل الى مساواة التقوى بالفعل القانونى . كلاهما تقليديان . والفرق بينهما فرق فى الدرجة فقط ، وقام صراع بين النزعتين تغلبت فيه النزعة الصوفية على النزعة القانونية بدون هدمها . فشهد القرن التاسع عشر حياة يهودية فى شرق أوروبا ازدوجت فيها النزعتان وآزر بعضهما البعض (٣) . وهذا حافظ على الدين اليهودى وجعله قويا خلاقا وفعالا . أما فى الغرب ، حيث لم تنشأ مثل هذه الحركة ، بات الدين اليهودى جافا وسقيما وذلك مما ساعد فى نفور الاصلاحيين من الموقف التقليدى والثورة عليه .

فمن جوف الموقف الدينى لليهودى فى شرق أوروبا اجتمع الحاخامون فى مدينة ليسا فى بولندة متجاوبا مع زملائهم وشعبهم فى جميع الأقطار الشرقية : « جميع الأوامر والنواهى الموجودة فى أسفار موسى الخمسة ، أو كما بلورها وفسرها وشرح ملزماتها التاويل التلمودى ، الهية فى مصدرها وواجبة على جميع اليهود فى كل العصور ولا يحق لأية سلطة انسانية نقض هذه الأوامر والنواهى أو تعديلها بأى شكل ، مهما كانت أحوالها ، (٤) وقال سليمان أيجر ، رئيس حاخامى مدينة

---

(٣) راجع تحليل نظرية الحسيديم فى :

Jacob S. Mink in The Romance of Hassidism. New York : Yoseloff, 1955 ;

Solomon Schechter, «The Chassidim» Studies in Judaism First Series.

Philadelphia : Jewish Publication Society, 1945. Samuel H. Dresner, The Zaddik : The Doctrine of the Zaddik According to the Writings of Rabbi Yaakov Josef of Polnoy. London : Abelard – Schuman, 1960.

وراجع مؤلفات مارتن بوبر ، الفيلسوف الشهير فى هذا المضمار ، وان أردت أستعراض شيئا من أدبهم راجع :

The Hassidic Authology, ed. Lowis I. Newman. New York : Bloch, 1944.

(٤) فيليبسون ، الكتاب السابق ذكره ، صفحة ٨٢ .

يوزن فى بولندة معلقا على قضية جايجر ـ تيكتن التى مرت بنا : « أن اليهودى المصدق للتوراة هو الذى يؤمن بأن كتاب القانون الالهى وجميع التفسيرات والشروح الموجودة فى التلمود أعطيت من قبل الله نفسه الى موسى فوق طور سينا » (٥) .

* * *

٣ ـ كلمة « الأورثوذكسية » :

استعملت كلمة « أورثوذكسية » لأول مرة فى تاريخ الدين اليهودى سنة ١٨٠٨ . وكان أول من استعملها الاصلاحيون ناعتين بها المحافظين الذين كانوا يعارضونهم فى دعوتهم للاصلاح . والواقع ، أن استعمال هذه الكلمة من قبل الاصلاحيين خطأ . وذلك أن كلمة أورثوذكسية تعبير مسيحى ، ينطبق على المسيحية فقط لأن لها (doxa) أو مقررات اتفق عليها كتعريف رسمى للدين المسيحى . فما اتفق مع هذه المقررات كان أرثوذكسية وما خالفها كان (Heterodoxy) وليس فى اليهودية مثل هذا . ومع ذلك ، فقد تقبل معارضو الاصلاح هذا النعت وأخذوا يسمون به أنفسهم فيما بعد ، ومنذ زمن ، ابتدأ الاورثوذكس يشعرون بعدم صلاحيته وانتخبوا تعبير « اليهودية المصدقة للتوراة » بدلا منه . على أن هذا الوصف أيضا لا ينطبق عليهم لأن ما يصدقونه ليس التوراة فحسب بل التلمود والتراث الشفهى لربابنتهم . وعلى كل حال ، علينا أن نذكر أن نشأة الملة الأورثوذكسية كانت فى يهود أوروبا الغربيين منهم والشرقيين ، يجذبون الى العلوم العلمانية والتقدم من جهة والى تراثهم القديم من جهة أخرى جذبا عاطفيا وفكريا . وينبغى أن لا ننسى أن الشرقيين منهم كانوا دائما أشد محافظة على التراث القديم .

* * *

٤ ـ نشأة الملة الأورثوذكسية :

كان أول من قدم الموقف الأورثوذكسى وشرحه ودافع عنه هو الحاخام شمشون رفائيل هرش (١٨٠٨ ـ ١٨٨٨) ولد هرش فى

---

(٥) فيليبسون ، الكتاب السابق ذكره ، صفحة ٨١ .

هامبورج بألمانيا لأب عارض تأسيس الكنيس الاصلاحى فيها أشد المعارضة وأسس فيها مدرسة لتدريس التلمود ليناهض مسعى الاصلاحيين • وقد تلقى هرش دروس التلمود فى هذه المدرسة ونشأ محافظا كأبيه • ثم درس على يد اسحاق برنايس (١٧٩٢ – ١٨٤٢) ويعقوب أتلينجر (١٧٩٢ – ١٨٧١) فى معهد الدراسات اليهودية المسمى « ياشيفا » ، ولم يتلق العلوم الحديثة الا لسنة واحدة قضاها فى جامعة بون ، ثم باشر عمله الدينى كحاخام فى مدينة أولدنبرج سنة ١٨٣٠ (٦) •

رأينا أن الحاخام جايجر كان يقول بتأويل الدين اليهودى بحيث يصبح مشابها كل الشبه لدين البروتستنتى المسيحى ، على الأقل من الوجهة الخارجية • وعلى نقيض ذلك ، يقول هرش بالمحافظة على أكثر ما يمكن المحافظة عليه من التراث اليهودى بشرط ان توجد له معان تتلاءم مع العصر الحديث • وهو لم يكن محافظا مغلقا كالحاخام تيكتين ، بل كان يرى ضرورة التغيير وحتميته ، واعتقد بأن التغيير ومنهاجه سنة موجودة فى التراث اليهودى نفسه ، ولعل معرفته بالعلوم العلمانية والحديثة ، ولو كانت ضئيلة جدا ، طمأنته بأن لا تعارض جوهريا بينها وبين الدين اليهودى فبدلا من الصمود فى وجه ارادة التغيير عند الاصلاحيين ، اتخذ هرش موقف الداعى الى تغيير بطىء مدرج حسبما ألفه التراث اليهودى نفسه (٧) ، وبدلا من رفض الطقوس اليهودية وتشريعات التلمود البالية حاول أن يبعث فيها الحياة بايجاد معان ووظائف جديدة لها • وألف فى هذا الصدد عددا من الكتب (٨) •

---

(٦) راجع : Herman Schwab, The History of Orthedox Jewry in Germany. tr. Irene R. Birnburm. London : Mitre Press, 1905.

(٧) انظر : Judaism Eternal : Selected Essays from The Writings of Rabbi Samson Raphael Hirsch, ed. Isidor Grunfeld London : Soncino Press, 1959.

(٨) منها : Neunzehn Briefe uder Judenthum, Von Ben Uzici Horeb : Versuche uber Jissroels Pflichten in der, Zerstreuang.

وكانت أولى مشاريعه الناجحة محاولته دحض المحافظة المعارضة لادخال العلوم الحديثة على برامج التعليم فى المدارس اليهودية . وقد استعمل هرش ضد المحافظين سلاحهم بالذات ، أى استمد حججه لصالح العلوم الحديثة والتغيير من التراث القديم الذى يدافع معارضوه عنه . وقال ان الحقيقة كلها ترجع الى مصدر واحد هو الله سواء أن وجدت فى الطبيعة أو فى مـا ورائهـا ، وسـواء أن بحثت على الطريقة القديمة أو الحديثة . وأشار الى الأمر بالتعلم بشتى الطرق فى الكتاب المقدس (٩) ومن أقواله المألوفة :

« وما أهمه ، من الناحية الدينية ، أن نحضر شبابنا بالعلوم التى ستؤهلهم لتقدير شروط العيش الشخصية والسياسية والاجتماعية والدينية التى تتحكم فى حياتهم كرجال القرن وكيهود ، ما أهمه أن نعطيهم العلم اللازم لتقدير الثقافة الأوروبية المحيطة بهم حق قدرها والانتهال منها كل ما هو خير ورفعة » ! (١٠) ففى هذا المضمار كان يتفق هرش مع الموقف الاصلاحى أكثر من الموقف التقليدى .

وهنالك ناحية أخرى اختلف فيها هرش عن زملائه التقليديين . وهى ناحية الانفصال عن الاصلاحيين انفصالا تاما كلما سيطر هؤلاء على كنيس أو هيئة فى مجتمع يهودى . ففى سنة ١٨٥١ تخلى هرش عن منصبه الكبير كحاخام أكبر لمقاطعتى مورافيا وسليزيا وكعضو فى البرلمان النمساوى وقبل تعيينه حاخاما لفرانكفورت حيث أمضى ٣٧ عاما أو بقية حياته . وفى فرانكفورت ، التى لم يكن فيها كنيس ، أشار هرش على أتباعه بأن يبنوا مدرسة لا كنيسا مؤكدا لهم : « لا حاجة لنا الآن للسرعة فى بناء كنيس ، يلزمنا قبل ذلك مدرسة لبناء جيل جديد من اليهود العالميين الواعين والمتعلمين ، الذين يؤمنون بالدين اليهودى ويتخذونه قصدا لحياتهم . وعندما يحضر ذلك الجيل ، نبنى الكنيس ، اذ ما هى

---

(٩) « تعرف على الله بشتى الطرق » . الأمثال ٣ : ٦ . انظر كتاب المنتخبات من مؤلفات هرش السابق ذكره ، جزء ١ ، ص ٢١ .

(١٠) المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢١ .

قيمة كنيس عظيم لا يؤمه الرجال والنساء للتعبد » ؟ (١١) · وأسس هرش مجلة أسماها « ياشيرون » أدخل فيها موقفه وأفكاره الى كل بيت من بيوت اليهود ·

ولم يمض زمن طويل حتى أصبحت فرقة هرش أقوى الفرق فى فرانكفورت وبنى لها كنيس كبير دفع نفقاته يهود المدينة بأجمعهم ، اصلاحيين كانوا أو تقليديين · وكذلك ، نفذت الاجراءات المأكلية التقليدية فى المدينة تحت مراقبة حاخامين تقليديين وأنشىء فيها حماما طقسيا · ولكن بالرغم من جميع هذه المكاسب ، لم يطمئن هرش الى وجود الاصلاحيين بين صفوفه ، فعمد الى التخلص منهم ·

وكان هنالك قانون عام فى ولاية بروسيا أنه لايجوز لليهودى بالخروج على أمته الا اذا أراد أن يدخل الدين المسيحى ، كما أن القانون نفسه لم يسمح للمسيحى بأن يخرج من الكنيسة ويبقى عضوا فى المجتمع · ونقض هذا القانون سنة ١٨٧٣ بخصوص المسيحيين ، لا اليهود · وهذا ما حدا بالحاخام هرش الى المطالبة بمعاملة اليهود بالمثل حتى يتسنى له ولأتباعه الانفصال عن الاصلاحيين دون الأمة اليهودية · وما كان أشد استغرابه وعجبه عندما حاول الانفصال بعد تعديل القانون المذكور اذ عارضه كبار أتباعه حرصا منهم على وحدة الأمة اليهودية ، حتى العالم التلمودى ، موسى لويب ماينز ، وزيلجمان باير بامبرجر ، حاخام فورتزبرج ، عارضا هرش ، الا أن هرش كان مستعدا لتضحية وحدة الأمة اليهودية التى طالما منعت الدين اليهودى من الانحلال وأسلمته من الهجوم الخارجى عليه ، وهو بذلك أشد محافظة وتقليدا من التقليديين بما فيهم زعمائهم الكبار مثل ماينز وبامبرجر ·

يقول هرش فى هذا الأمر : « يجب على اليهودى الأرثوذكسى أن لا يسهم فى ادارة مستشفى للاصلاحيين · والسبب هو أن ذلك يتعارض

---

(١١) المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٤٢ ·

مع القوانين الخاصة بالمـــأكل وبشعائر السبت فتنفيذ هـــذه القوانين بحذافيرها يتطلب أن تكون ادارة مثل هذه الهيئات فى أيدى رجال ذوى أورثوذكسية معترف بها • وبديهى أن الاداريين الاصلاحيين غير معترف بأورثوذكسيتهم وهم لذلك غير معتمدين ••• وأضيف أن على أعضـاء ادارة أية هيئة من هذا النوع أن يكونوا شديدى الحرص على القانون، ، لا يقلون فى تشـــددهم عن محكمة ربانيـة ••• ولهـــذا ، يجب على الأورثوذكس عدم الاعتراف بهيئة لا دينية كهيئة الاصلاحيين ، وعلى كل يهودى مؤمن بيهوديته أن لا يقبل أن يكون عضوا فيها » (١٢) •

وزاد من حدة الخلاف أن دخل فيه أمر اهابة الحاخامين الشخصية ، اذ قال الحاخام بامبرجر بأن مبدأ هرش « يعمل به فقط عندما يثبت أن مؤهلات الحاخامين المذكورين الشخصية ومعرفتهم التلمودية غـــير متساوية ، أما اذا تساوت ، فيجب أن لا يجبر أحد الطرفين على الانصياع لأمر أصدره الطرف الآخر بينما يرى الطرف الأول بمحض اجتهـــاده أن الأمر خاطىء » (١٣) •

* * *

٥ ـ تحديد موقف هرش الفكرى :

يتضح مما تقدم أن عدو هرش الأكبر كان الحركة الاصلاحية ، وبديهى أن حركات الاصلاح كثيرا ما تعتمد على نظرية وفكر تنبثق عنه فى بادىء أمرها ، أما الحركات التقليدية فلا تلزمها النظريات فى بادىء الأمر • وذلك لأنها تقليدية ، تعتمد على ما قدمه السلف لها • لذلك تأخر مجىء فكر أورثوذكسى أصيل •

كان هرش قد اتخذ شعار المدرسة الجديدة التى أسسها فى فرانكفورت جملة من التلمود ، هى « أن دراسة التلمود نبيلة وطيبة اذا اقرنت بمهنة دنيوية » (١٤) • الا أن هرش أدخل معنى جديدا لكلمة « ديرنج

---

(١٢) انظر كتاب (Schwab) السابق ذكره ، ص ٧٥ وما يليها •
(١٣) المصدر ذاته ، ص ٨٨ •
(١٤) عن سفر آيوت فى المشناة ، ٢ : ٢ • راجع كتاب منتخبات من مؤلفات هرش السابق ذكره ، جزء ١ ، ص ١٥ •

ابريتس » أو « مهنة دنيوية » ، فهو أخذها بمعنى « مدنية العصر » ، وعلى هذا الأساس ، جعل التعليم فى مدرسته تعليما دينيا وعلمانيا ، وتصور هرش أن واجب العصر هو بناء علاقة جديدة بين التوراة وحضارة القرن التاسع عشر . لا يختلف هذا التصور عن تصور الاصلاحيين فى شىء ، وكل ما فى الأمر أن هرش لا يوافق الاصلاحيين فى ما بنوه من علاقات معينة ، فبينما اتخذ الاصلاحيون أفكار وقيم الحضارة المعاصرة كمعيار ثم قاسوا بها التوراة وأحكامها فتقبلوا البعض ونقضوا البعض الآخر ، يريد هرش أن يتخذ التوراة كمعيار ثم يقيس بها أفكار وقيم الحضارة المعاصرة . ورأيه أن أفكار وقيم التوراة خالدة بينما أفكار وقيم الحضارة المعاصرة وقتية ولا بد لها من التغير ، اعتبر الاصلاحيون الحضارة الأوروبية كأعلى مرحلة من مراحل التقدم البشرى ورأوا أن على الدين اليهودى اما أن يتفق معها أو يموت . أما هرش ، فقد رأى أن اتفاق الدين اليهودى مع الحضارة الأوروبية هو أيضا موت محقق للدين وعليه ، ارتأى أن الحل الأعدل والأنجح والأصدق هو أن نأخذ قيم التوراة الخالدة كمقاييس نقيس بها صلاحية مثل القرن التاسع عشر . وألف كتابه « ١٩ تحريرا لابن أوزيال » مفسرا هذا المبدأ ومطبقا له على لسان نفتالى ، الشخصية الروائية التى اتخذها ليجيب بن أوزيال على ادعاءاته بأن الدين اليهودى دين مغلق وأن لا أمل لليهود الا برفضه وتبنى قيم القرن التاسع عشر .

وقال هرش فى أحد أجوبته لابن أوزيال انه يلزم لنفهم الدين اليهودى ـ وكم بالأحرى للحكم له أو عليه ـ أن يتخذ الباحث موقفا من داخل الدين اليهودى لا من خارجه ، وذلك لأن الدين اليهودى « ظاهرة تاريخية » تطورت عبر العصور ، فلها اذن فحوى ونظام ينبع من داخلها وينشأ من جذورها ، وهذه الجذور فى التوراة التى اكتشفت « قانون الحياة الحقيقى » . علينا أن نتبين علاقة مرمى التوراة وغايتها بكل ما نحن بصدده على حدة (١٥) .

---

(١٥) انظر كتاب « ١٩ تحرير » السابق ذكره ، التحرير الثانى ، صفحة ١٣ ـ ١٥ .

وركز هرش موقفه على قاعدة غائية الوجود وكل ما فيه من مخلوقات تعمل كلها فى اتجاه الغاية القصوى التى أرادها الله للدنيا كوحدة . وكان يستمد ايمانه بالغائية من التوراة . وأدى به ايمانه هذا الى تصور مبدأ الخلق الأول « كخدمة متبادلة مضطردة بين الانسان وسائر المخلوقات . فالانسان يعطى لكى يأخذ ويأخذ لكى يعطى »(١٦) ، وبما أنه أرقى المخلوقات صور على صورة الاله ، سخر له كل شىء ، فهو أكثر الآخذين أخذا ، ولكنه بهذا ينتظر منه أن يكون أكثر الخادمين خدمة ، وبالاضافة الى هذا . تكون خدمة الانسان واعية وكذلك أخذه . وكان هرش أراد بذلك ايجاد قياسين لسلوك الانسان . قياس داخلى وآخر خارجى ، فالخارجى هو مطابقة السلوك لقوانين التوراة . أما الداخلى ، وهو الأهم ، فهو مطابقة سلوكه بامكانياته وموهباته لتحقيق ارادة الله « كلما عظمت الامكانيات وكبرت المواهب ازدادت واجبات الخدمة . والعكس بالعكس » ، فالحياة اذن ، يمكنها أن تفشل فشلا ذريعا بالرغم من أنقى العواطف والغايات اذا كانت الأفعال غير حسنة ، كما أنه يمكنها أن تكون عظيمة ومفلحة أكبر الفلاح بالرغم من أضال النتائج اذا لم تسمح الظروف والامكانيات بانجازات أكبر » . فقوة الانسان وضعفه ، حكمته وعدمها ، غناه وفقره ـ كل ذلك محدد بارادة الهية لا تتبدل ، أما فضيلة الانسان وتقواه ، فهى ثمرة ارادته الحرة ونتيجة استخدامه الحر للملكات التى وهبها الله له (١٧) .

ثم تصور هرش أن نشر هذه النظرة الى الانسان هو رسالة اسرائيل الخاصة . على اسرائيل مسئولية تحقيق غائية الانسان فى خدمته خلال تاريخها وبحياة كل فرد من أفراد شعبها فى حياته اليومية . ولكى تحقق اسرائيل رسالتها ، يجب عليها أن تظل منفصلة عن شعوب العالم أخلاقيا وروحيا . فالاسرائيليون محرم عليهم العيش كبقية الناس ، اذ

---

(١٦) المصدر السابق : التحرير الثالث ، صفحة ٢٣ .
(١٧) المصدر نفسه ، التحرير الرابع ، صفحة ٣٣ ـ ٣٦ .

لا يجوز لهم عبادة المال واللذة ثم اعلام البشر فى الوقت ذاته أن الله واحد ، وأنه الخالق والمشرع والأب لجميع المخلوقات (١٨) .

أى منطق معوج ! اذا كان الله أبا لجميع المخلوقات فالبشر اخوة . واذا كانت رسالة اسرائيل نشر غائية الانسان كخدمة أخوية لوجه الله تعالى ، كيف لها أن تميز نفسها عن البشر وتنفصل عنهم ؟ وهل تحقيق القيمة مجرد اعلام ؟ ألا يتطلب قبل كل شىء تحقيقها فى نفس المعلم ؟ وألا يجعل مثل هذا التحقيق القائم به يشعر قبل كل شىء بانه كالبشر ، لا أقل منهم عن أولئك الذين آمنوا بها من غير اليهود وقدموا أنفسهم لخدمتها ؟

أى منطق معوج ! الا أن اليهود لا يبالون لأبسط قواعد المنطق عندما يختص الأمر بانفصالهم عن الناس . وها هو هرش يقول « ان قوانين التوراة الكثيرة والمعقدة ومبادئها العديدة كلها أعطيت لاسرائيل لوحدها حتى يتم انفصالها وتمييزها عن البشر » ، « وان الله أراد من هذه القوانين تأهيل اليهود وتدريبهم على القيام برسالتهم وتحقيق مصيرهم » (١٩) .

وهناك نقطة التقى فيها فكر هرش بفكر مندلسون : ألا وهى أن الدين اليهودى ليس دينا عقائديا كالدين المسيحى بل دينا عمليا . « فهو (أى الدين اليهودى) سن لليهود ستمائة وثلاثة عشر واجبا ولكنه لم يضع أية عقيدة » .

وقال هرش : « ان الفكر الصحيح هو الذى يأخذ الطبيعة والانسان والتاريخ كحقائق مسلم بها ويبنى عليها علمه مستقيا منها المعرفة والحكمة . وهو الذى يضيف الى هذه المسلمات التوراة لأنها حقيقة لا شك فيها كحقيقة السماء والأرض . والفكر الصحيح لا يعتبر أى تصور

---

(١٨) المصدر السابق ، التحرير السابع ، صفحة ٦٦ ـ ٧٠ .
(١٩) المصدر ذاته ، التحرير الثامن ، صفحة ٧٦ ، التحرير العاشر ، ص ١٠٢ .

لا يؤدى فى نهاية الأمر الى حياة النشاط والانتاج ... » (٢٠) . ولعله فى هذا كان يريد دحض دعاة « الدراسات العلمية فى الدين اليهودى » لأنه انتقدهم فى مكان آخر بأنهم « ينظرون الى اجتهاد أسلافنا الثقافية باحتقار شديد » . وقابل بين ما أنجزه أولئك الدعاة وما أنجزه دارسو التوراة خلال الأجيال فسفه الأول . وقال : « عند الأوائل كان العلم والحياة متصلين . الحياة متأهبة للعلم لأن العلم كان يخدم الحياة ، لأن العلم اليهودى ليس الا علم الحياة بالذات . وهو العلم الذى بنى حتى يطبق على الحياة عملها » (٢١) .

يعود هرش الى قضية انفصال اسرائيل ويقول ان الانفصال الذى يدعو اليه روجى ، ويجب أن لا يفهم منه أنه يوجب الانفصال الجسمى ، فاليهودى الذى يتمم واجباته الدينية كيهودى ، يحصل على احترام وتقدير زملائه غير اليهود . واليه اذ يرجع أمر الاختلاط بهم للدرجة التى يطيق ، ومن هذا توصل هرش الى امكانية « التوفيق بين مواطنية اليهود فى العالم الخارجى وبين تحقيقهم لرسالتهم اليهودية » . وفسر هرش هذه الامكانية على أساس أن الاستقلال القومى لشعب اسرائيل لم يكن أصلا وفى أى وقت جزءا جوهريا من رسالة اسرائيل » . « الأرض وما عليها لم تكن فى أى وقت العروة الجامعة لاسرائيل ، بل واجب التوراة العام » وذلك لأن وحدة اسرائيل وحدة روحية ، لا تختص بالحياة السياسية أو الوحدة الأرضية ، وعليه ، ليس من شىء فى الدين اليهودى يمنع اليهودى من الانتفاع بجميع مكاسب التحرير » (٢٢) .

وخلاصة القول ان هرش عارض الحركة الاصلاحية لأنه رأى فيها تصنعا . فهى فى رأيه « تأخذ نقطة ارتكازها خارج اليهودية فى مبادىء

---

(٢٠) المصدر السابق ، التحرير الخامس عشر ، ص ١٤٦ ـ ١٤٩ .

(٢١) انظر كتاب هرش (Judaism Etermal) السابق ذكره ، جـ ٢ ، ص ٢٨٢ ـ ٢٨٤ .

(٢٢) انظر كتاب « ١٩ تحرير » السابق ذكره ، التحرير الخامس عشر ، ص ١٥٧ والتحرير السادس عشر ، ص ١٥٩ ، ١٦١ ـ ١٦٥ .

مستعارة من غير اليهود تطبقها على غاية الانسان وحريته ، وهى من ثم تحاول من هذه الوجهة الغريبة والمستعارة الحذف ، والتضييق ، والتحديد أو النقض لمبادىء الدين اليهودى ومقتضياته » (٢٣) ، أما الاصلاح الصحيح فهو اصلاح الذات حسب مبادىء الدين اليهودى الأزلية ، هو ضم التقدمية للدين ، لا الدين للتقدمية . « فعند الاصلاحيين ، يعتبر الدين صالحا ويعمل بمقتضياته فقط الى الحد الذى لا يتعارض مع التقدم . أما عند الأورثوذكس فالتقدم صالح ويعمل بمقتضياته فقط الى الحد الذى لا يتعارض مع الدين » (٢٤) .

* * *

٦ ـ أول المعاهد الأرثوذكسية :

تخرج معظم ربابنة الأورثوذكس من المدارس التقليدية القديمة المسماة « يشيبوت » تلقوا العلم على أيدى أساتذة ناهضوا التقدم ومنعوا أية علوم جديدة من الدخول الى برامج التعليم . ولم يكن هنالك معهد لاهوتى يهودى يدين بالمبادىء الأورثوذكسية الى أن قام اسرائيل هيلد سهايمر (١٨٢٠ ـ ١٨٩٩) بانشائه . وكان تمكينه من انشاء مدرسة لاهوتية جديدة شرطا من شروط تقبله التعيين كحاخام لمدينة ايزنشتاط بالمجر سنة ١٨٥١ . وقام بتأسيس المعهد وادارته ١٨ عاما وأدخل فى برامجه مواد اللاتينية والافريقية والألمانية والحساب اضافة الى المواد التقليدية .

وفى سنة ١٨٦٨ زاد فى انقسام اليهود الى أورثوذكس واصلاحيين ، أن الأورثوذكس انقسموا فيما بينهم الى حاسيديم وميتناجديم ، أى الى متصوفة وتشريعيين ، مما أدى الى تدهور الموقف لدى يهود هنغاريا برمتها ، وعليه استقال هيلد سهايمر من منصبه . وانتقل الى برلين حيث دعته هيئتها الأورثوذكسية ليكون حاخاما لها . وهناك كرر هيلد سهايمر

---

(٢٣) المصدر السابق ، التحرير السابع عشر ، ص ١٧٤ .

(٢٤) انظر كتاب هرش (Judaism Eternal) السابق ذكره ، جـ ٣ ، ص ٢٣٦ وما يليها .

مطلبه فى تمكينه من تاسيس معهد لتخريج الحاخامين الأورثوذكس . فتقبل منه وتأسس المعهد فى برلين سنة ١٨٧٣ . ولم يكن معهد ايزنشتاط بل معهد برلين الذى خرج أول فوج من الحاخامين الأورثوذكس (٢٥) .

* * *

٧ ـ الملة الأورثوذكسية فى أمريكا :

يحق القول بأن فى بداية استيطان اليهود فى أمريكا ، كانوا جميعا يدينون بمذهب واحد ، هو المذهب التقليدى ، وفى النصف الأول من القرن التاسع عشر ابتدأت حركة الاصلاح تبذر بذورها وترعى قواها القليلة الضعيفة التى نشأت فى ذلك الحين . ولعله يحق القول أيضا أن حركة مناهضة لحركة الاصلاح ابتدأت فى نفس الوقت تبذر بذورها وتعرض دعواها على الناس . الا انه لم يكن للحركة الأورثوذكسية المفكرون والمتعلمون الذين توفروا لحركة الاصلاح . ولم يتسن لزعيم الأورثوذكس ، الحاخام اسحاق ليزر ، تأسيس مدرسة يهودية الا فى سنة ١٨٦٧ . ومع هذا فان هذه المدرسة التى سماها بكلية ابن ميمون والتى أسسها فى فيلادليفيا ، لم يكتب لها من العمر سوى ست سنوات ، أقفلت بعدها لعدم وجود الطلبة وعدم وجود المال .

وحاول الحاخام ليزر لم شمل اليهود التقليديين فى أمريكا بشتى السبل منذ أوائل القرن الماضى . فاسس مجلة (The Occident and American Jewish Advecate) سنة ١٨٤٣ محاولا الابقاء على فكرة تجمع اليهود وتقديم وعيهم كيهود . وكانت هذه الفكرة لم تتحقق لدى اليهود فى أمريكا الا سنة ١٨٤٠ وكان مدارها ما سمى فى ذلك الحين : « بقضية دمشق » . فهى الحادث الذى جعل يهود أمريكا يتفقون لأول مرة على توحيد جهودهم فى العمل السياسى لمنفعة الشعب اليهودى خارج أمريكا . يقول الأستاذ عبد الكريم غرايبة فى كتابه « **سورية فى القرن التاسع عشر : ١٨٤٠ ـ ١٨٧٦** » فى « قضية دمشق » :

---

(٢٥) راجع كتاب (Scnwab) السابق ذكره ، ص ٤٨ ـ ٥٩ .

« وكانت متاعبهم (أى اليهود الدمشقيين) مع المسيحيين أخطر اذ اتهموهم بخطف المسيحيين لقتلهم وخلط دمهم بالفطير بدلا من دم خروف الفصح واتهم اليهود فى دمشق بقتل الأب توما الكبوشى · وكان الأب قد اختفى يوم الأربعاء ٢ ذى الحجة ١٢٥٥ / ٢٥ فبراير (شباط) ١٨٤٠ فاهتم القنصل الفرنسى بالأمر وأقنع السلطات المحلية بتفتيش الحى اليهودى والتحقيق مع بعض اليهود لا سيما الحلاق سليمان اليهودى · ووقع سليمان يوم الأحد فى ١٤ ذى الحجة على اعتراف بأنه ذبح الأب توما بأمر الحاخامين · ووجدت بعد ذلك عظام بشرية ولحم بشرى فى ساقية فى حارة اليهود فقويت الأدلة ضد اليهود ، وأخيرا أعلن الحاخام موسى أبو العافية اسلامه واعترف بذبح الأب توما ليصنع من دمه فطيرا أرسل قسما منه الى بغداد · واعتقل عدد من اليهود وتضامن اليهود فى دمشق وأنحاء العالم لاثبات براءة المتهمين اليهود · وأخيرا قدموا مبلغا من المال الى محمد على باشا كدليل على براءتهم فأطلق الحاكم المصرى شريف باشا سراح المتهمين وأغلق التحقيق وحفظت القضية · ووقف قنصلا بريطانيا وروسيا الى جانب اليهود خلال هذه الأزمة » (٢٦) ·

وردد الحاخام ليزر طلبه بأن يؤلف يهود أمريكا هيئة اتحادية لادارة أعمالهم الجماعية والسهر على مصالحهم ، وساعده فى ذلك الحاخام اسحاق وايز ، حاخام الاصلاحيين · اذ كانت هذه المصالح العامة مشتركة لكافة اليهود ، ولم يفرق بينهم فيما يتعلق بها أن كانوا اصلاحيين أو تقليديين أو أورثوذكس · ولعل وعيهم كيهود أدى بهم الى تناسى اختلافاتهم فى سبيل المصلحة العليا لا سيما ما يختص منها بسلامة اليهود أنى كانوا ·

---

(٢٦) عبد الكريم غرايبة : « سورية فى القرن التاسع عشر ١٨٤٠ ـ ١٨٧٦ » ·

محاضرات ألقاها على طلبة معهد البحوث والدراسات العربية · القاهرة : جامعة الدول العربية ، ١٩٦١ / ١٩٦٢ ، صفحة ١٢٥ ·

تعاون اليهود فى « قضية دمشق » رغم اختلافهم الدينى . لكن هذا الاختلاف لم ينته الى اقناع الجميع بضرورة الاصلاح ثم القيام به . ذلك أن الحاخام ليزر ، فى أشد أوقاته حرصا على التعاون مع زملائه ، مانع فى ادخال أى تعديل على الدين ، بل وعارض فكرة اضطلاع الربابنة الأمريكيين بمهمة الاصلاح وذلك لأن معظمهم كان من الاصلاحيين .

ولكنها كانت الهجرة اليهودية الى أمريكا هى التى غمرت الموقف . ففى السبعينات والثمانينات من القرن الماضى ، تدفق تيار من مهاجرى أوروبا الشرقية على أمريكا دانوا جميعا بالمفهومات التقليدية وجاءوا بحاخاميهم وأنظمتهم ولغتهم « الليدش » . فلم يكونوا بحاجة الى ما تكون فى أمريكا من فكر أو نظام يهودى . وكانوا ينظرون الى مأواهم الجديد كأنه « جالوت » أو منفى مضاعف ، فهو أولا منفى من اسرائيل القديمة وهو ثانيا منفى بمعنى تنحى واقصاء المهاجرين الجدد عن الشعب اليهودى فى أمريكا الذى لا يمكنهم التعايش معه أو الاختلاط به .

وكان طبيعيا أن يتعاون هؤلاء المهاجرون المتعصبون مع الحاخام ليزر ضد الحركة الاصلاحية . وبالفعل ، تم تعاون الفريقين ، لا سيما بعد أن أعلن الاصلاحيون موقفهم مبلورا ومقررا نهائيا فى مؤتمر بيتسبورج عام ١٨٨٥ الا أن ذلك لم يدم وعندما تم تأسيس معهد لاهوت الحاخام اسحاق الحنان سبيكتور فى نيويورك سنة ١٨٩٧ من قبل الأوروبيين الشرقيين تجديدا لولائهم للحاخام المذكور ، وكان من عظماء التلموديين فى مدينة كوفنو فى ليتوانيا ـ حصل الاختلاف من جديد بين التقليديين من أوروبا الشرقية والتقليديين الأمريكيين ولم يعترف الآخرون بخريجى المعهد الجديد .

وأخيرا ، ضم معهد يشيبا اترحاييم الى المعهد المذكور سنة ١٩١٥ ، وأعيدت تسمية المعهد المشترك سنة ١٩٢٨ فأصبح يدعى « كلية يشيبا » ، ثم « جامعة يشيبا » . وسيطر تقليديو أوروبا الشرقية عليه

وأصبحوا هم الممثلين للملة الأورثوذكسية ، أما التقليديون الأمريكان الأوائل فقد ذابوا من الوجود وانصهروا ضمن يهود أوروبا الشرقية . والسبب فى ذوبانهم يرجع الى عدم توفر أيديولوجية مستقلة لهم ، فالصحيح ، أن الموقف الأورثوذكسى كله فى أمريكا ليس له فلسفة تذكر . وأهم ما فيه هو التقليد . والتقليد ليس بفلسفة وهو غير خلاق .

يقول الحاخام ليويونج ، أشهر زعماء المفكرين الأورثوذكس الأمريكان مدافعا عن صلاحية التلمود للقرن العشرين : « خذ التشريع التلمودى مثلا : ان وسائل المواصلات الحديثة لم يرد لها ذكر فى المشناه ، ولكنها مذكورة بل ومفروغ منها فى أبحاث الربابنة التلمودية الذين عاينوا مسائلها عن طريق معاينة وسائل المواصلات فى الامبراطورية الرومانية القديمة وقوافل الجمال فى أيام الاستقلال الفلسطينى » (٢٧) .

ولا غرو أن رفض هذا الموقف قسم من اليهود الذين يؤمنون بالتوراة ولكن لا يستسيغون مثل هذا الحشو الفارغ الذى لا يفرق بين الجمال ومراكب الفضاء ، وهؤلاء ليسوا بالاصلاحيين بل بالمحافظين . وسنتناول بحث نشأتهم ومبادئهم فى الفصل التالى .

* * *

٨ ـ عقيدة الملة الأورثوذكسية :

يعرف الأورثوذكسيون عقيدتهم كما يلى :

أولا : الدين اليهودى ليس عقيدة كما هو الحال فى المسيحية ، والخلاص ، أو الفلاح ، ليس بالايمان ، بل بالعمل ، فالدين اليهودى نظام حياة قبل أن يكون عقيدة .

---

(٢٧) انظر مقال «What is Orthodox Judaism» Leo Jung, فى كتاب : The Jewish Library, 2nd Series. New York, 1930, ed Leo Jung صفحة ١١٤ وما يليها

وانظر أيضا لنفس المؤلف بعنوان Judaism نشره :
The National Council of Jewish Women 1945, p. 5.

ثانيا : مصدر التوراة هو الله . فهو صانعها ومؤلفها وكاتبها حرفا بحرف . والتوراة هى الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس كما هو اليوم . وهى التوراة المكتوبة . سلمها الله لموسى تسليما يدا بيد عندما أظهر نفسه على شعبه اسرائيل المجتمع فى أسفل الطور . وكذلك ، أعطى الله لموسى على طور سينا وفى نفس الوقت الذى سلم فيه التوراة المكتوبة ، توراة أخرى ، غير مكتوبة ، شفهية ، هى مجموعة القوانين والنظم والترتيبات التى دونت فيما بعد ، بعد أن تناقلها الاسرائيليون شفهيا جيلا بعد جيل بالتواتر .

ثالثا : لأجيال طوال كان محرما وضع هذه القوانين فى كتاب ، ولكن عندما تعرضت التوراة الشفهية للخطر بسبب تضعضع أحوال اسرائيل السياسية ، سمح الربابنة بتدوينها كى لا تضيع وتفسد فالتوراة الشفهية هى المشناه . وجملة التوراة المكتوبة ، والتوراة الشفهية ، والقوانين والأنظمة والترتيبات التى توصل اليها الربابنة بطريق التفسير والتأويل والتحليل المتفقة مع مبادىء التوراة ، تكون فى جملتها ما يسمونه « الحلقاه » .

رابعا : يعتبر اليهودى الأورثوذكسى « الحلقاه » كنظام معيارى للحياة : أى للدين وللدنيا معا . وهو يؤمن أن الحلقاه تتطلب منه تطويع جميع طاقاته لتحقيق كل بند من بنودها مهما كلف ذلك من تضحيات .

خامسا : يؤمن اليهودى الأورثوذكسى بمصدر التوراة الالهى كمقولة أولى وعليا لتفكيره على جميع المستويات ، وعلى هذا الاعتقاد يبنى اليهودى الأورثوذكسى حجته أنه بما أن التوراة مستمدة من الاله والاله أزلى ، فانها هى أزلية ، تطبق على مدى العصور وفى جميع الأمكنة بدون أى تغيير أو تبديل . وعليه ، يؤمن الأورثوذكسى أنه يجب أن تتغير الحياة لا القانون حين يعترض القانون بالحياة .

سادسا : على اليهودى الأورثوذكسى أن لا يستنتج من المبدأ الخامس

انه لا يمكن التعايش مع غير اليهود او مع العصر الحديث ، فهو يؤمن بامكانية هذا التعايش ، بل بان التوراة تامر به بشرط ان ينصاع كل شيء الى مبادئها وقوانينها .

سابعا : فقط أولئك الذين تخرجوا من معاهد الربابنة الأورثوذكسية وحصلوا منها على اجازة « سميحا » لهم الحق فى اقامة الطقوس الدينية والتكلم فى أمور الدين وتفسير التوراة . وعليهم طبعا القيام بهذه الواجبات تماما كما قام بها الأولون بالتواتر .

* * *

٩ ـ نظم الملة الأورثوذكسية :

يلقن الأورثوذكس تعاليمهم لأبنائهم حتى يجعلوا منهم حاخامين وربابنة فى مدارس خاصة تسمى « يشيبا » ، وفى مدارس الى شيبوت (جمع يشيبا) فى أمريكا ما يقدر بخمسين ألف طالب . وهو عدد ضئيل بالنسبة للأربع ملايين أو يزيد من اليهود الأورثوذكس القاطنين فى الولايات المتحدة الأمريكية (٢٨) . ولا يزال معظم سكان أوروبا الشرقية

---

(٢٨) قالت مجلة : (Saturday Evening) فى مقال لروجر كاهرة نشرته فى عددها العاشر للسنة الواحدة والأربعين بعد المائتين بتاريخ ١٨ آيار (مايو) ١٧٦٨ فى صفحة ٣٤ وما يليها بعنوان (The Passicnate People) ما يلى : « ان عدد اليهود الأورثوذكس سنة ١٩٦٤ فى الولايات المتحدة بلغ ٢٠٤٨١٥ من الرجال الراشدين ينتمون لألف وستمائة وسبع كنائس ، هذا وأن نصفهم يقطنون فى ولاية نيويورك وجميع هؤلاء ينحصرون فى المدن الكبرى فى الولاية . أما عدد اليهود الأورثوذكس الصحيح فهو غير معروف ، وكل ما يمكن لنا هو التخمين . لعلهم بلغوا السبعمائة ألف رجل راشد » . والحقيقة لا يعرفها الا اليهود أنفسهم بل حتى هم لا يعرفونها تماما بالنظر لوجود الكثيرين ممن ينكرون دينهم طمعا فى كسب المال أو السلطة أو الجاه ، وبما أن الدستور الأمريكى يحرم سؤال أى مواطن عن دينه ، لا تملك أية هيئة أمريكية ، بما فيها الحكومة ، أية احصاءات يمكن الاستدلال بها عن عدد اليهود أو عدد المنتمين لأية ملة يهودية . وقد كان دائما ولا يزال من مصلحة الهيئات اليهودية أن تقلل من عدد أعضائها حتى تظهر بمظهر القلة المغلوب على أمرها وتنالَ عطفَ المواطنين فى كلّ مكانٍ .

بما فيها روسيا يدينون بالمذهب الأورثوذكسى . الا أن التعليم الدينى فى البلاد الشيوعية جد ضعيف . ويعطى الطالب عند انتهاء دراسته اجازة تسمى « سميحا » لها من المكانة ما لعملية الـ (Ordination) فى الكنيسة المسيحية .

ولعل اقوى ملة أورثوذكسية يهودية فى العالم هى الموجودة فى اسرائيل وذلك لا لعدد أفرادها أو لتمسكهم العنيد بالتوراة والتلمود وحذافير قوانينها ، بل لتمتعهم بالدعم السياسى والحكومى للدولة . فالدولة الاسرائيلية لا تعترف بأية ملة سوى الملة الأورثوذكسية .

وسبب ذلك يرجع الى العهد العثمانى فى فلسطين ، حيث كانت الادارة تتبع النظام الملى ، وهو النظام الذى وضعه النبى ﷺ فى المدينة والتى كان ميثاقها المعروف وأولى وثائقه فالمذهب الملى لا يعترف بحقوق مدنية للأفراد الا على أساس عضويتهم فى مللهم المختلفة . فاحوالهم الشخصية ومعظم معاملاتهم مرتبطة بالقانون الذى تعمل به منتهم ، وليس للفرد هوية أو حقوق سياسية ومدنية الا التى تنبع من كونه عضوا فى هذه الملة أو تلك . وكما كانت الحال فى الجيتو الأوروبى ، كان للملة فى النظام الادارى العثمانى هيئة من رجال الدين والقانون تعترف بها الحكومة كالسلطة العليا لتسيير أمور الملة الجماعية والفردية . وكان للملة اليهودية فى فلسطين مثل هذه الهيئة يرأسها حاخامهم الأكبر ، وطبعا ، كانت كلها من الملة التقليدية المحافظة أو الأورثوذكس ، اذ لم يكن فى الامبراطورية العثمانية حركة اصلاحية فى الدين اليهودى على الاطلاق .

وبعد أن جاء الاحتلال الانجليزى ، تالفت حكومة الانتداب الانجليزية معتبرة نفسها وريثة الحكم العثمانى فابقت الأوضاع على ما كانت عليه واستمر الاعتراف بالهيئة الأورثوذكسية كممثلة لجميع اليهود . وما أن شكلت الوكالة اليهودية لفلسطين حتى أدمجت الهيئة الملية فيها وأصبحت دائرة من دوائرها .

ويقبل ذلك الوضع المجلس الصهيونى العالمى ، وهو السلطة العليا للوكالة ، لسببين :

الأول : أن أغلبية أعضائه كانـوا ولا يـزالون من الأورثوذكس ، وذلك لأن الأورثوذكس فى العالم هم الأكثرية .

والثانى : لأن الصهيونية مبدأ تقليدى محافظ يتجانس مع المبادىء الأورثوذكسية وقد رأينـا أن الفكر الاصلاحى كـان يعارض الصهيونية كمبدأ ويدعو اليهود الى الانسجام فى المحيطات التى يعيشون بهـا ويتنصلوا من القومية اليهودية التى نادت بها التوراة خلال القرون . فلا غرابة اذن أن لم يكن لهم فى المجلس الصهيونى العالمى صـوت مسموع .

ولم يغير شيئا من هذا ما تدفق على فلسطين من هجرة يهودية قبل ١٩٤٨ اذ كان معظم المهاجرين من أوروبا الوسطى والشرقية حيث كانت الأكثرية أورثوذكسية . أما بعد ١٩٤٨ فقد هاجر يهود الشرق العربى الى اسرائيل مكونين نصف سكانها أو أكثر . وهؤلاء جميعا من التقليديين المحافظين الذين لم يسمع بينهم صوت اصلاحى واحد يجعلهم يميزون أنفسهم كأورثوذكس أو غير أورثوذكس عن الأورثوذكس الأوروبيين ومن الطبيعى أن يخضـع هؤلاء كلهـم الى تحكـم الهيئة الأورثوذكسية فى أحوالهم الشخصية وحياتهم الدينية .

وعندما قامت الدولة الاسرائيلية سنة ١٩٤٨ وتحولت الوكالة اليهودية الى حكومة رسمية للبلاد المحتلة ، أصبحت دائرة الهيئة اليهوديـة الأورثوذكسية فيها وزارة للشئون الدينية فاكملت سيطرتها على جميع اليهود . فبينما كان يمكن اليهودى الشاذ فى عهد الانتداب البريطانى أن يعقد نكاحه حاكم مدنى بريطانى ، أصبح بعد قيام اسرائيل لا يجوز لأية سلطة أو هيئة أن تقوم بأى اجراء يتعلق باليهود الا اذا كانت سلطتهـا مخولة لها من قبل وزارة الشئون الدينية الأورثوذكسية .

ويجب أن لا يفهم من اتباع اسرائيل كمجتمع ودولة للمـلة الأورثوذكسية أن الاسرائيليين كلهم يؤمنون بالمبـادىء الأورثوذكسية ، فالحقيقة التى لا تقبل الجدل فى أن اسرائيل ، وان تمسكت كمجموعة

بشعائر الذبح على الطريقة الكوشير ، وشعيرة السبت ، بتعطيل أعمال الحكومة وحركة المواصلات واغلاق المتاجر من مساء الجمعة حتى مساء السبت ، لا تتوانى دقيقة واحدة عن الضرب بالتوراة وقوانينها عرض الحائط عندما تتعارض هذه مع مصلحتها السياسية والعسكرية ، فالأصدق هو أن تعرف كدولة علمانية لا تقل تقدمية من حيث تحقيقها لمصالح الشعب اليهودى عن الاصلاحيين . أما من جهة الأفراد ، فالأصدق هو أن معظم المهاجرين الأوروبيين علمانيون لا يتقيدون بأحكام التوراة ومعظم المهاجرين الشرقيين تقليديون لا يزالون يدينون بولاء شبه تام ان لم يكن تاما للتوراة وشرائعها .

* * *

obeikandl.com